# سـورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠

فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ

## سـورة الإسراء

(سبحان الذى أسرى بعبده) معنى سبحان تنزه ، وهو مصدر غير منصرف ، وأسرى وسرى لغتان ، وهو فعل غير متعد ، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعديا أى أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد ، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا (ليلا) إن قيل : ما فائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل ؟ فالجواب : أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به فى بعض الليل مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ فى الأعجوبة (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا) يعنى بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة ، وقد روى فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل ، وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فى بيته ، فالمسجد الحرام على هذا مكة أى بلد المسجد الحرام ؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذى بإيلياء ، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد ، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد ؛ فيكون المقصد إظهار العجب فى الإسراء إلى هذا الموضع البعيد فى ليلة ، واختلف العلماء فى كيفية الإسراء ، فقال الجمهور : كان بجسد النبى صلى الله عليه وسلم وروحه ، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق ، فحجة الجمهور أنه لو كان مناماً لم تنكره قريش ولم يكن فى ذلك ما يكذب به الكفار ، ألا ترى قول أم هانىء له لاتخبر بذلك فيكذبك قومك ، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما قوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ، وإنما يقال الرؤيا فى المنام ، ويقال فيما يرى بالعين رؤية ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينما أنا بين النائم واليقظان وذكر الإسراء ، وقال فى آخر الحديث فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين : أحدهما بالجسد والآخر بالروح ، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس ، وهو الذى أنكرته قريش ، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقى الأنبياء فى السموات (الذى باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى ، والبركة حوله بوجهين : أحدهما ما كان فيه وفى نواحيه من الأنبياء ، والآخر : كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التى خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أى لنرى محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب ، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكلمه الله تعالى حسبما ورد فى أحاديث الإسراء ، وهى فى مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخذوا من دونى وكيلا) أى

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ

---

ربا تكلون إليه أمركم ، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة (ذرية من حملنا مع نوح) نداء ، وفي ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله ، وقيل هي مفعول تتخذوا ، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعني بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان (إنه كان عبدا شكورا) أي كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال ، وهذا تعليل لما تقدم أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا ، كما قيل في وقضينا إليه ذلك الأمر ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر ، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنى على (لتفسدن في الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للمقضى ، وهي في موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم ، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن ، والجملة في موضع معمول قضينا ، والمرتان المشار إليهما إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عباده لينتقم منهم على أيديهم ، واختلف في هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل بختنصر ملك بابل (فجاسوا خلال الديار) أي تردّدوا بينهما بالفساد ، وروي أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة . وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل واستنقاذ أسراهم ، وقتل بختنصر ، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر نفيرا) أي أكثر عددا ، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات ، والثاني بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان ، ففيه تجنيس ، واللام فيه بمعنى إلى ، وكذلك اللام في قوله : وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم) يعني إذا أفسدوا في المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم فالآخرة صفة للمرة ، ومعنى يسوءوا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله : سيئت وجوه الذين كفروا ، واللام لام كي هي تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه ، وقيل هي لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس (وليتبروا) من التبار ، وهو الإهلاك وشدة الفساد (ما علوا) ما مفعول ليتبروا : أي يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد ، وقيل إن ما ظرفية أي يفسدوا مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبني إسرائيل ومعناه ترجية هم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبني إسرائيل : أي إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا

---

عقابكم ، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى سجنا وهو من الحصر ، وقيل أراد به مايفرش ويبسط كالحصير المعروف (يهدى للتى هى أقوم) أى الطريقة والحالة التى هى أقوم ، وقيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (. يدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) المعنى ذم ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ( وأنهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبت ، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولا) الإنسان هنا وفى الذى قبله اسم جنس ، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فمحونا آية الليل) فيه وجهان : أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما ، والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس ، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة ) يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس (والقمر عدد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شىء فصلناه تفصيلا) انتصب كل بفعل مضمر ، والتفصيل البيان (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) انتصب كل بفعل مضمر ، والطائر هنا العمل ، والمعنى أن عمله لازم له ، وقيل إن طائره ما قدر عليه ، وله من خير وشر ، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عبر عن ذلك بالطائر ، لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير ، وقوله فى عنقه أى هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه ( كتاباً يلقاه منشوراً) يعنى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات ( اقرأ كتابك ) تقديره يقال له اقرأ ( حسيباً ) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، والوزر فى اللغة الثقل والحمل ، ويراد به هنا الذنوب ، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى : أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ

نبعث رسولا) قيل إن هذا فى حكم الدنيا أى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم ، وقيل هو عام فى الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوماً فى الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى ، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فى تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون فى الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة ففعصوا وفسقوا ، والثانى أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أى قضينا عليهم بالفسق ففسقوا ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا واختاره أبو على الفارسى ، وأما على قراءة آمرنا بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا ، وأما على قراءة أمرنا بتشديد الميم ، فهو من الإمارة أى جعلناهم أمراء ففسقوا ، والمترف الغنى المنعم فى الدنيا ( فحق عليها القول ) أى القضاء الذى قضاه الله ( وكم أهلكنا من القرون ) القرن مائة سنة ، وقيل أربعون ( من كان يريد العاجلة ) الآية : فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك ، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين أحدهما تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله ، والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ، ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحورا) أى مبعدا أو مهانا (وسعى لها سعيها) أى عمل لها عملها (كلا نمد ) انتصب كلا بنمد وهو من المدد ومعناه نزيدهم من عطائنا ( هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين (من عطاء ربك) يعنى رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصى لمن أراد الدنيا ، والأول أظهر (محظورا) أى ممنوعا ( فضلنا بعضهم على بعض ) يعنى فى رزق الدنيا ( لا تجعل ) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن المخاطب غير معين ( مذموما ) أى يذمه الله وخيار عباده (مخذولا) أى غير منصور (وقضى ربك) أى حكم وألزم وأوجب أو أمر ، ويدل على ذلك ما فى مصحف ابن مسعود ووصى ربك (ألا تعبدوا ) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن عندك) هى إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها فلا تقل لهما أف والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى عندك : أى فى بيتك وتحت كنفك (أف) حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما مافوق ذلك، ويجوز فى أف الكسر والفتح والضم، وهى حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير (ولا تنهرهما) من الانتهار وهو الإغلاظ فى القول (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) استعارة فى معنى التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله اخفض جناحك للمؤمنين، وأضافه إلى الذل مبالغة فى المعنى كأنه قال الجناح الذليل، ومن فى قوله من الرحمة للتعليل أى من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه الصالحين، وقيل المسبحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع، فحقيقته الراجعين إلى الله (وآت ذا القربى حقه) خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل هو خطاب خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم أن يؤتى قرابته حقهم من بيت المال، والأول أرجح (وإما تعرضن) الآية: معناه إن أعرضت عن ذوى القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم، فقل لهم كلاما حسنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه، حياء منه، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله «وإما تعرضن عنهم، والمعنى على هذا: أنه يعرض عنهم انتظارا لرزق يأتيه، فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا هو ما يرتجيه من الرزق أو يتعلق بقوله (فقل لهم قولا ميسورا) أى ابتغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هى الأجر والثواب (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة فى معنى غاية البخل كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة فى معنى غاية الجود فنهى الله عن الطرفين: وأمر بالتوسط بينهما: كقوله «إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» (ملوما) أى يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير فى العطاء (محسورا) أى منقطعا بك لا شىء عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر فى الأنعام (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد فى الحديث من

كَانَ مَنصُورًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها فى معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة ( ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولى المقتول وسائر العصبة ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والسلطان الذى جعل الله له : هو القصاص ، أو تخييره بين العفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدى ، وقرئ فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل ، أو لولىّ المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ونصره هو القصاص (ولا تقربوا مال اليتيم) ذكر فى الأنعام قال بعضهم لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام فى العهود مع الله ومع الناس ( إن العهد كان مسئولا) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون فى معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة ، هل وفى به أم لا ( وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئ بكسر القاف وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ما ليس به علم ) المعنى لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها معاملة العقلاء فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير فى عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ما ليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش فى الأرض مرحا) المرح الخيلاء والكبر فى المشية ، وقيل هو إفراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر فى موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروها نعت

وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا
يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ
وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى
ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا * ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا * وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا

---

اسيئة أو بدل منها ، أو خبر ثان لكان (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ، والمعنى : كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور ، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم : خصكم (قولا عظيما) أى عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) هذا احتجاج على الوحدانية ، وفى معناه قولان : أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جملة عباده ، والآخر لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته فى قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية : اختلف فى كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم ( جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فى معناه قولان : أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده ، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات ، وقيل معناه ساتر (أكنة أن يفقهوه) جمع كنان وهو الغطاء ، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات فى إضلالهم (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) معناه إذا ذكرت فى القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون من ذلك ، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها ونفوراً مصدر فى موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ، والضمير فى به عائد على ما : أى نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذ هم نجوى) جماعة يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحوراً) قيل معناه جن فسحر وقيل معناه ساحر ، وقيل هو من السحر بفتح السين وهى الرئة : أى بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد ( أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى مثلوك بالساحر ، والشاعر ، والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) الآية معناها إنكار للبعث ، واستبعادهم

مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا * وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۝ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

---

أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم ، والرفات الذى بلى حتى صار غبارا أو فتاتا ، وقد ذكر فى الرعد اختلاف القراء فى الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التى فى الحياة ، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيى عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ماهو أسهل فى الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أى كونوا فى الوهم والتقدير ، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم فى ذلك (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السموات والأرض والجبال ، وقيل بل أحال على فكرتهم عموما فى كل ماهو كبير عندهم : أى لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم (فسينغضون إليك رؤسهم) أى يحركونها تحريك المستبعد للشىء والمستهزئ (ويقولون متى هو) أى متى يكون البعث (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ فى الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين وبحمده فى موضع الحال أى حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) يعنى لبثتم فى الدنيا أو فى القبور (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا عجيبا ، وقيل أن يقولوه للمشركين ، ثم نسخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة فى إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) قيل يعنى الملائكة ، وقيل عيسى وأمه وعزير ، وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجونه ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره ، والفاعل فى يدعون ضمير للكفار ، وفى يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير فى يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل فى قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، والوسيلة هى ما يتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير فى يبتغون أى يبتغى الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره ؛ أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ

---

بالاجتهاد فى طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله (محذورا) من الحذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والفناء الذى لابد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله بأحد المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لايفتقر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران فى الآية هما فى الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو معذبوهم ، وروى أن هلاك مكة بالحبشة ، والمدينة بالجوع ، والكوفة بالترك ، والأندلس بالخيل ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها فى ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبيليه وطليطله وغيرها بأخذ الروم لها (فى الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التى يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا ، وعبر بالمنع عن ترك ذلك ، وأن نرسل فى موضع نصب وأن كذب فى موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط بلفظ الماضى وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس فى منعك وحمايتك منهم كقوله : والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) اختلف فى هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان فى اليقظة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان فى المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل فى سنة الحديبية فرد عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى فى المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن فى جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة فى النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، فإن قيل : لم لعنت شجرة الزقوم فى القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها فى أصل الجحيم (ونخوفهم) الضمير لكفار قريش (طينا) تمييز أو حال من من أو من مفعول خلقت (قال أرأيتك

فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا * رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ

---

هذا الذى كرمت علىّ ) الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، وهذا مفعول بأرأيت ، والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته علىّ أى فضلته وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ، وقال ابن عطية أرأيتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرنى (لأحتنكن ذريته ) معناه لأستولين عليهم ولأقودنهم وهو مأخوذ من تحنيك الدابة ، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد (قال اذهب) قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر : صيغة أمر على وجه التهديد ، وقال الزمخشرى ليس المراد الذهاب الذى هو ضد المجىء ، وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا له وتخلية ، ويحتمل عندى أن يكون معناه للطرد والإبعاد ( فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ، ليرجع إلى من اتبعك ، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغائب ، وليدخل إبليس معهم ( جزاء موفورا ) مصدر فى موضع الحال والموفور المكمل (واستفزز) أى اخدع واستخف (بصوتك ) قيل يعنى الغناء والمزامير ، وقيل الدعاء إلى المعاصى ( وأجلب عليهم) أى هول ، وهو من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل ، والرجل جمع راجل وهو الذى يمشى على رجليه فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك ، وقيل إنه من الشيطان خيلا ورجلا ، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون فى الشر ( وشاركهم فى الأموال والأولاد ) مشاركته فى الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها فى المعاصى وغير ذلك ، ومشاركته فى الأولاد هى بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك ( وعدهم ) يعنى المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك ( إن عبادى) يعنى المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك : وكفى بربك وكيلا ونحوه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ( يزجى لكم الفلك ) أى يجريها ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغاء الفضل فى التجارة وغيرها ( الضر فى البحر ) يعنى خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه ) ضل هنا بمعنى تلف وفقد : أى تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فالجأتم إليه حينئذ دون غيره . فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون فى تلك الشدة إلا إياه ( وكان الإنسان كفورا )

يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُوا

---

أى كفورا بالنعم ، والإنسان هنا جنس ( أفأمنتم ) الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أى أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف فى البر ( حاصبا ) يعنى حجارة أو ريحا شديدة ترمى بالحصباء ( وكيلا ) أى قائما بأموركم وناصرا لكم ( قاصفا من الريح ) يعنى الذى يقصف ما يلقى أى يكسره ( تبيعا ) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى لا تجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها ( وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) يعنى فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه منتصب القامة ، وهذه أمثلة ( بإمامهم ) قيل يعنى بنبيهم ، يقال يا أمة فلان ، وقيل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقيل كتابهم الذى فيه أعمالهم ( ولا يظلمون فتيلا ) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا ، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر ( ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ) الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والعمى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى : أى حيران يائس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالعمى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سبيلا ، لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء ، ويجوز . فى أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سبيلا فعطف أضل الذى هو من أفعل من كذا على ما هو شبهه . قال سيبويه . لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لا فى عمى القلب ( وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك ) الآية : سببها أن قريشا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك ، وقيل إن ثقيفا طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدنية ( لتفترى علينا غيره ) الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره ( وإذا لاتخذوك خليلا ) أى لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلا ( ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ) لولا تدل على امتناع شىء لوجود غيره ، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبى صلى الله عليه وسلم الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفى الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبى صلى الله عليه وسلم لأن التثبيت منعه

لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۝ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۝ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ

---

من مقاربة الركون ، ولولم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا ، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ، ولا قارب ذلك ( إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ) أى ضعف عذابهما لو فعل ذلك (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) الضمير لقريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده (وإذاً لا يلبثون خلفك إلا قليلا ) أى لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلا قليلا فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة لأجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا يوم بدر ( سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر ، ومعناه العادة أى هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فدلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام فى قوله لدلوك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى عند ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين ( إن قرآن الفجر كان مشهودا ) أى تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار ( ومن الليل فتهجد به نافلة لك) لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل ، ومن للتبعيض ، والضمير فى به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك الهجود ، ومعنى الهجود : النوم فالتفعل هنا للخروج عن الشىء كالتحرج والتأثم : فى الخروج عن الإثم والحرج ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ) يعنى الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاما على الظرف (وقل رب أدخلنى مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل فى القبر ، والمخرج إلى البعث . واختار ابن عطية أن يكون على العموم فى جميع الأمور (سلطانا نصيرا ) قيل معناه حجة تنصرنى بها وتظهر بها صدقى ، وقيل قوة ورياسة تنصرنى بها على الأعداء وهذا أظهر (وقل جاء الحق وزهق الباطل ) الحق الإيمان والباطل الكفر (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من للتبعيض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفى القلوب من الريبة والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا والتعويذ (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ۝ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ

---

إنما يراد الكافر لأنه هو الذى يعرض عن الله ( ونأى بجانبه ) أى بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض ، وقرئ ناء وهو بمعنى واحد ( كل يعمل على شاكلته ) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويسئلونك عن الروح) السائلون اليهود ، وقيل قريش بإشارة اليهود ، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم ، وقد يقال فيه النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك ( قل الروح من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه ، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه عن الروح ، فإن لم يجبكم فيه بشىء فهو نبىّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه ، وقال ابن بريدة : لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح ، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس والروح ، وليس فى أقوالهم فى ذلك ما يعول عليه (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) خطاب عام لجميع الناس ، لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف وهذه الآية متصلة المعنى بقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا : أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك فلا يبقى عندك شىء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته ورده بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك ) يحتمل أن يكون استثناء متصلا فمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ) عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعانى العجيبة التى لم يمكن الناس يعلمونها ، ولا يصلون إليها ، ثم جاءت فيه على الكمال ، وقال أكثر الناس إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهيرا) أى معينا (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم كل شىء من العلوم النافعة ، والبراهين القائمة ، والحجج الواضحة ، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعانى والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجحود ، وانتصب بقوله أبى لأنه فى معنى النفى ( وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ) الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات ، وهى التى ذكرها الله فى هذه الآية ، وقيل إن الذى قاله عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، وكان ابن عمة النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين ، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من

بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝

---

الماء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهى القطعة ، وقرئ بالإسكان : أى قطعا واحدا (قبيلا) قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامنا شاهدا بصدقك ، والقبالة فى اللغة الضمان (بيت من زخرف) أى من ذهب (قل سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم ، أو تنزيه لله عن قولهم تأتى بالله ، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التى طلبها الكفار ، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشرا رسولا) أى إنما أنا بشر ، فليس فى قدرتى شىء مما طلبتم ، وأنا رسول فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) المعنى أن الذى منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر ( قل لو كان فى الأرض ملائكة ) الآية : معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا ، ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين فى الأرض (شهيدا بينى وبينكم) ذكر فى الأنعام (عميا وبكما وصما) قيل هى استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى ، وقيل هى حقيقة وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم (كلما خبت) معناه فى اللغة سكن لهبها ، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت (وقالوا أئذا كنا عظاما) استبعاد للحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام فى الاستفهامين (أولم يروا أن الله ) الآية احتجاج على الحشر ، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه ، والرؤية فى الآية ، رؤية قلب (أجلا لا ريب فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يليها الفعل إلا ظاهرا أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسره بتملكون الظاهر ، وأنتم تأكيد للضمير الذى فى تملكون المضمر (خزائن رحمة ربى) أى الأموال والأرزاق ، إذا لأمسكتم خشية الإنفاق) أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر ، فالمراد بالانفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر ، ومفعول أمسكتم محذوف ، وقال الزمخشرى

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝

---

لا مفعول له لأن معناه يختلم من قولهم للبخيل يمسك . ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى (تسع آيات) بينات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء ، وحل العقدة من لسانه ، وفلق البحر وقد عد فيها رفع الطور فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر ، وقد عد فيها أيضا السنون ، والنقص من الثمرات . روى أن بعض اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشي ببريء إلى السلطان ليقتله ، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت (فاسئل بني إسرائيل) أي اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشري إن المعنى قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون أي اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بني إسرائيل ، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضا : يحتمل أن يكون المعنى : اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والأول أظهر (إذ جاءهم) الضمير لبني إسرائيل ، والمراد آباؤهم الأقدمون والعامل في إذ على القول الأول آتينا موسى أو فعل مضمر ، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف (مسحورا) هنا وفي الفرقان : أي سحرت واختلط عقلك ، وقيل ساحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفر بها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مثبورا أي مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا بقوله . وإني لأظنك يا فرعون مثبورا (فأراد أن يستفزهم من الأرض) أي أرض مصر (اسكنوا الأرض) يعني أرض الشام (لفيفا) أي جميعا مختلطين (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه في الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معنى الأول كذلك : ومعنى الثاني ضد الباطل . أي بالحق في إخباره وأوامره ونواهيه (وقرآنا فرقناه) انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل في قراءته ، وقيل على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم ، كأنه يقول سواء آمنتم أو لم تؤمنوا لكونكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله ، وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ، قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا *

## سورة الكهف

مكية إلا آية ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعني المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون للأذقان) أي لناحية الأذقان كقولهم خر لليدين وللفم ، والأذقان جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان ، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وهاهو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد ، وأنه مخير في الدعاء بأيّ الاسمين شاء ، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدي زيدا لا بمعنى النداء (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أيّا اسم شرط منصوب بتدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، وما زائدة للتأكيد والضمير في به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أيّ هذين الاسمين تدعو فحسن ، لأن الله له الأسماء الحسنى فوضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال ، وهو في المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) المخافتة هي الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له وليّ من الذل) أي ليس له ناصر يمنعه من الذل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنيّ عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبري أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له وليّ من الذل رد على الصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (وكبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

## سورة الكهف

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له